وَلم يقل عدو لكم اجيب بانه عليه السلام صور المسئلة في نفسه بمعني فانهم
اني فكرت في امري فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها واراهم انها
نصيحة نصح بها نفسه فاذا تفكروا قالوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه
فيكون ذلك ادعي اي اقرب الي القبول وابعث الي الاستماع منه ولو قال فانهم عدو
لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب التعريض وقد يبلغ التعريض
للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فيه فربما قاده التامل الي التقبل ومنه
عن الشافعي رضي الله تعالى عنه ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت
لاحتجت الي ادب وسمعت ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم
وقوله **الا رب العالمين** اي مدبر هذه الاكوان كلها يصح ان يكون استثناء منقطعا
بمعني انهم عدو لي لا اعبدهم لكن رب العالمين فاني اعبده وان يكون متصلا
علي ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من ابائهم من عبد الله تعالى فكانه قال
الا رب العالمين فانه ليس بعدوي بل وليي ومعبودي ثم شرع بصفه
بما هم به عالمون من انه علي الضد الاقصي من كل ما عليه اصنامهم بقوله
**الذي خلقني** اي اوجدني علي هيئة التقدير والتصوير **فهو** اي فتسبب
عن تفرده بخلقي انه هو لا غيره **يهدين** اي الي الرشاد ولانه لا يعلم باطن
المخلوق ويقدر علي التصرف فيه غير خالقه ولا يكون خالقه الا سميعا بصيرا
ضارا نافعا له الكمال كله وذكر الخلق بالماضي لانه لا يتجدد في الدنيا والهداية
بالمضارع لتجددها وتكررها لانه يقال لما اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب
ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع الي كل ما يصلحه ويغنيه والا فمن هداه
الي ان يتغذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه الي معرفة الثدي عند
الولادة والي معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الي غير ذلك
دنيا ودينا **والذي** اي هو لا غيره **هو يطعمني ويسقين** اي يرزقني ويغذيني
بالطعام والشراب ولو اراد اعدام ما اكل وما اشرب او اصابني بافة
لا استطيع معها اكلا ولا شربا ونبه بذكر الطعام والشراب علي ما عداهما
تنبيه يجوز في الذي يطعمني ويسقين ان يكون مبتدا وخبره محذوف
لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده ويجوز ان تكون اوصافا للذي
خلقني ودخول الواو جائز كقوله
الي الملك القرم وابن الهمام ● وليث الكتيبة في المزدحم ●
وتكرير الموصول علي الوجهين للدلالة علي ان كل واحد من الصلات مستقلة
باقتضاء الحكم **واذا مرضت** اي باستيلاء بعض الاخلاط علي بعض لما بينهما
من التنافر الطبيعي **فهو** اي وحده **يشفين** اي بسبب تعديل المزاج
بتعديل الاخلاط وقسرها علي الاجتماع لا بطبيب ولا غيره فان قيل
لم اضاف المرض الي نفسه والشفا من الله تعالى اجيب بانه قال

ذلك

١٠

ذلك استعمالا لحسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فاردت ان
اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واجاب الرازي بان اكثر
اسباب المرض يحصل بتفريط الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك
ومن ثم قال الحكما لو قيل لاكثر الموتي ما سبب اجالكم لقالوا التخم وبان الشفا
محبوب وهو من اصول النعم والمرض مكروه وليس من النعم وكان مقصود
ابراهيم عليه السلام تعداد النعم ولما لم يكن المرض من النعم لا جرم لم يضفه
الي الله تعالى ولا ينقض ذلك باسناد الاماتة اليه كما سياتي فان الموت ليس
بضرر لان شرط كونه ضررا وقوع الاحساس به وحال الموت لا يحصل الاحساس
به انما الضرر في مقدماته وذلك هو عين المرض ولان الارواح اذا كملت في
العلوم والاخلاق كان بقاؤها في هذه الاجساد عين الضرر وخلاصها
عنها عين السعادة بخلاف المرض **والذي يميتني** بقبض روحي في الدنيا
ليخلصني من افاتها **ثم يحيين** للمجازاة في الاخرة كما شفاني من المرض ولهذا
التراخي بين الموت والاحياء اتي بثم هنا لان الاماتة في الدنيا والاحيا في الاخرة
ولما ذكر البعث ذكر ما يترتب عليه بقوله **والذي اطمع** هضما لنفسه واطراحا
لاعماله **ان يغفر** اي يمحو ويستر **لي خطيئتي** اي تقصيري عن ان اقدره
حق قدره **يوم الدين** اي الجزاء روي ان عائشة رضي الله تعالى عنها قالت
قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين
فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي
يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم علي قومه انه لا يصلح للالهية الا
من يفعل هذه الافعال فان قيل لم قال والذي اطمع والطمع عبارة عن الظن
والرجا وهو عليه السلام كان قاطعا بذلك اجيب بان في ذلك اشارة
بان الله تعالى لا يجب عليه لاحد شي فانه يحسن منه تعالى كل شي ولا اعتراض
لاحد عليه في فعله فان قيل لم اسند لنفسه الخطيئة مع ان الانبياء
معصومون اجيب بان مجاهدا قال هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله
كبيرهم هذا وقوله لسارة هي اختي ورد بان هذه معاريض كلام وتخيلات
للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار والاولي في الجواب ان
استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه
قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم
في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان قيل
لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما يغفر في الدنيا اجيب بان اثرها
يتبين يومئذ وهو الان خفي لا يعلم ولما حكي الله عن ابراهيم عليه السلام ثناه
عليه ذكر بعد ذلك دعاه ومسئلته بقوله **رب** اي ايها المحسن الي **هب
لي حكما** اي علما متقنا بالعلم وقال ابن عباس معرفة حدود الله واحكامه

Copyright King Saud University